الممتاز في مناقب الشيخ ابن باز

الحمد لله رب العالمين ، و صلى الله و سلم و بارك على النبي الأمين ، و على آله و صحبه أجمعين . أما بعد :

هذه المحاضرة بعنوان الممتاز من مناقب ابن باز –رحمة الله عليه– في جامع ابن باز ، في الخامس و العشرين من شهر رجب لعام ثلاثين وأربعمائة و ألف للهجرة ، بعد مضي عشر سنوات من وفاة سماحته رحمه الله .

سبب اختيار هذا الموضوع بعد شكر الله –عز وجل– أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، سرًّا وجهرا، ليلًا ونهارا، ثم أثني بالشكر لإمام هذا الجامع والقائمين معه وفقهم الله لحرصهم واجتهادهم على هذه المحاضرات، فنسأل الله –عز وجل– أن يبارك فيها وأن يجعلها نافعة لي ولإخواني الحاضرين والمستمعين.

اليوم أتتني رسالة من أحد الإخوة يقول: لو أنك غيرت العنوان من، هذا العنوان المتعلق بسماحة الشيخ ابن باز إلى موضوعٍ آخر وهو الرياحين في أخبار ابن جبريل –رحمه الله–، فنسأل الله أن يرحم الجميع، والأخ الذي أرسل لي الرسالة وهو من أسباب بدئي بمثل هذه المحاضرات، فقد كنت أُلقي كلمات فقط واستضافات لبعض الإخوة، وكان عندي فكرة وهي جمع سير عدد من العلماء ومن الصالحين وذكر أخبارهم وعجائبهم، فكنت مرة في سفرٍ ومعي بعض الإخوة فأخبرتهم أني أرسلت هذه القصص والمواقف لعددٍ من المشايخ والدعاة الذين وفقهم الله –عز وجل– للجودة وحسن الأسلوب والتأثير على الناس، فأخبرته بمن أرسلت لهم وأن عندي مادة متكاملة لو أرادوها، فقال الأخ: لماذا لا تلقيها أنت؟

فبعد هذه الكلمة وفقني الله –عز وجل- خلال أسبوعين فأجمعت مادة خرجت في شريطٍ بعنوان [أخبار الصالحين المعاصرين]، ولا أزعم أني أتيت بجديد لكن أحيانًا الكلمات وإن كان أصحابها لا يلقون لها بالًا، لكن تقع موقع عظيمًا فنسأل الله –عز وجل- أن ينفعني بها ومن اقترح.

أما بالنسبة لهذا العنوان فهو يتردد في ذهني من مدةٍ طويلة، وهذه المحاضرة ليست مفصلة عن حياة الشيخ بمعنى أنها لم تستوعب جميع أخبار الشيخ، الأمر الثاني أنها غير مرتبة، وربما أذكر لكم خبرًا عنه في رمضان وعنه خبر في الحج، ثم في منزله، ثم في الطريق، ثم في السيارة، هي غير مرتبة ولم أقصد بذلك إلا التنويع على السامعين.

وأكتفي غالبًا بمحاضراتي حول ما يتعلق بسير العلماء، غالبًا أكتفِ بذكر الخبر بدون مقدمات وبدون تعبير، يكفي أن الخبر يعبر عن نفسه، يعني لو عبرت عن كل خبر وأتيت بالعبر والفوائد والدروس لطال بنا المقام.

إن من أهم علماء هذا العصر هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله- ، ولا أبالغ إن قلت أن الله –عز وجل- جعل له القبول في كل الأرض بين الإنس والجن ، و ربما تفوق شهرته لعدد من العلماء الأعلام الذين توفاهم الله –عز وجل-، بل من مشاهير العلماء الأقدمين لأن سماحة الشيخ ابن باز أطال الله –عز وجل- في عمره ونشر علمه واشتهر في شبابه من حين أن نزل إلى بلدة الخرج قاضيًا وعمره سبعٌ وعشرون وهو قد اشتهر بالعلم والفضل، بل من صغره كما سيأتي إن شاء الله، الشيخ عبد العزيز في صباه.

فكم في سيرته –رحمة الله- عليه وأخباره من المواقف والعبر وليس المقصود من هذا تزكية الوقت ولا جمع القصص والمواقف والأخبار بدون عبرة ولا فائدة.

فمما دعاني لذكر هذا الموضوع الوفاء لهذا العالم الإمام الذي نشر الله –عز وجل- به الخير والعلم والفضل ونصر به الدين ونفع به كثيرًا من الناس.

من أسباب ذكر هذا الموضوع؛ البحث عن شخصياتٍ يقتضي بها الناس، لو أنِّي ذكرت أخبار الصحابة، أخبار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعدد من العلماء من الصحابة والتابعين لقال القائل: أولئك أصحاب النبي أولئك التابعون أو يقول: أولئك في القرون المفضلة، لكن أنا أتكلم عن رجلٍ عاش بيننا حتى إن من رآه عددٍ من العلماء وجالسه ومن لم يراه إلا أول مرة، ومنكم من ربما أتى إليه أو جلس معه أو رآه في الحج، بعضهم يقول: سارت سفينة السلف وتركت هذا الرجل، ومن ذلك من الأسباب لتعريف الناشئة بأمثال هؤلاء الأعلام الأماجد الأكابر، ومن الأسباب أيضًا إبراز جوانب العظمة والقدوة في سيرته وما أكثرها، فهو كالشمس للدنيا، والعافية للناس كما قال الإمام أحمد عن الشافعي فالإمام أحمد يقول لابن الشافعي: إن أباك من الستة الذين أدعو لهم في السحر، وأبوك، هذا كلام الإمام أحمد لابن الشافعي، يقول: وأبوك كان كالشمس للدنيا والعافية للناس، فليس منهما عوض، وأنا أقول: كان الشيخ ابن باز مثل ذلك .

ومن تأمل في وقفاته وعلمه وشجاعته –رحمة الله عليه– تبين أن كثيرًا من الفتن وإذلال المسلمين وقهرهم، وكثرة المنكرات إنما جاءت بعد وفاته، فهو كان كالجبل وليس الباب كالجبل الذي كان الناس يتدرون به، بل قال أحد كبار العلماء، أخبرني أحد العلماء ممن زار عالمًا، يعني صاحب منصب كبير وعلم في أمر من الأمور المنكرات فقال: كنا نعيش خلف هذا الجبل –وهو ابن باز– فلما مات لم نجد ما نتدرى به.

والشيخ عبد العزيز –رحمة الله عليه– إمامٌ في ثمان، يعني في ثمانِ خصال كما قال الشافعي عن أحمد فقد قال الشافعي عن أحمد:

"أحمد إمامٌ في ثمان" ثم عددها، الزهد والعلم .... إلى أخره.

فسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إمامٌ في العلم وفي العمل وفي الزهد والورع، وقضاء الحوائج، والصبر على الناس، والكرم، وخصالٍ كثيرة، إن سماع مواقف هؤلاء العلماء ليربي في النفس حب الخير والإصلاح، وصدق الإمام أبو حنيفة لما قال: "سيرُ الرجالِ أحبُ إلينا من كثيرٍ من الفقه"،

ومما يؤسَف له أنه قد نشأ عددٌ من الناشئة من الشباب لا يعرفون علماءهم ولا أسماءهم، ولا يستغرب لعدم تغطية الإعلام لذلك على سبيل المثال وفاة الشيخ بن جبريل، أخبار مؤسفة ومزعجة ومؤذية عن مايكل كيف مات وكيف حصلت جنازته، وهل له وصية أو ليس له وصية إلى آخره من التفاصيل الدقيقة، وقرأت في إحدى الصحف أخبار عن الشيخ ابن جبريل قرابة الشبر أو أقل في خبرٍ مختصر، مات ابن جبريل، وكذلك لما توفي الألباني –رحمة الله عليه– وجدت في صحيفة؛ مات ظاهر الأستاذ الألباني وله مؤلفات إسلامية كثيرة، وقد أريتها أحد أئمة الحرم النبوي.

إذا كان هذا واقع الإعلام وليس عندنا وفاء لأكابرنا وعلمائنا، وليس عندنا حب لمن أوصلوا إلينا الخير فمن باب أولى أن لا يكون لنا وفاء فيما بيننا ومع إخواننا المسلمين.

وعند ذكر هذه الأخبار والسير هي تربية لي وأنا أتكلم وللسامعين وللحاضرين، لأن بعض الناس ربما يطلب العلم في وقتٍ يسير فيُعْجَب بعمله ويُعْجَب بنفسه فإذا سمع أخبار هؤلاء العلماء يرى أن نفسه حقيرةٌ صغيرة أمام هؤلاء الأكابر.

سماحة الشيخ في الخرج

الشيخ لا يريد القضاء أصلاً ، إنما أُجبر من الملك عبد العزيز –رحمه الله– ، فأُمِرَ أمراً من الملك عبد العزيز ، و من شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، و كان ابن باز لا يستطيع رد طلب لهم. فأُرسل للقضاء و عمره ثمانٍ و عشرين سنة.

لما قدم إلى بلدة الخرج ، جمع الناس و أمير البلدة ، فاجتمعوا إليه ، ثم ألقى كلمة ، فقال فيها : (والله ثم والله لم أُرْد القضاء ، و لا أرغب فيه ، و لا أريده ، و لا بحثت عنه ، لكن طاعةً لله ، و لرسوله ،

ثم لولي الأمر ، و أنا بينكم سأقضي بما سيفتح الله ﷻ علي). ثم بدأ بمسيرته القضائية ، فاستمر أربعة عشر عاماً .

نستطلع بعض الوقفات العامة في سيرته رحمه الله : ذات مرة ، استسقى الشيخ ، و وعد الناس بالسقيا ، فسقاهم الله ﷻ ، فكتبوا للملك عبد العزيز: أن الشيخ عبد العزيز بن باز استسقى ، و لم يستأذنك . فقال الملك عبد العزيز : ليتنا كنا معه ، حتى يرزقنا الله مطر .

ومن مواقفه –رحمه الله- : أن الجراد لما أتاهم خرب المزارع في بلدتهم الخرج ، و في الدلم . فأمر الشيخ الناس جميعاً أن يخرجوا لطرده من المزارع ، و خرج معهم ، و كان قد عمي و عمره تسعة عشر عاماً ، فخرج معهم الشيخ للمشاركة.

موقف آخر ، لما قدم للبلدة أيضاً ، كان له كرسي منصوب من الطين في السوق يجتمع له الناس يومي الاثنين و الخميس ، و يأتون إليه من كل جهة ؛ لأجل السوق و الشراء و البيع . فكانت عادة الشيخ أن يبدأ بكلمة يلقنهم درساً ، ثم تبدأ الأسئلة ، و يتكلم عن البيوع ، و التحذير من الغش ، يكون الرجال في جهة ، و النساء في جهة ، ثم يجلس في مجلسه و هو القاضي ، و يرسل بعض الموظفين في الهيئة ، ليست وظائف ، و إنما بعض المحتسبين ، و لهم مكافآت من الملك ، يرسلهم لمتابعة المكاييل والموازين ، و التحذير من الاختلاط ، و متابعة كل شيء .

بنى لهم الجامع الكبير ، و أعانهم عليه ، و نصح البنائين أن يستعينوا بالله ، و من كان عنده بعض المواد يأتون بها عندهم. و بنى لهم المحكمة ، و وسع لهم شوارع الخرج ، و أنشأ بعض المدارس ، و كان يخرج معهم أحياناً للبناء و يحضر ذلك.

وله موقف مع رسول أحد المسئولين : أتاه هذا المرسول ، شخصٌ من قبل الحكومة ، كأنه تضايق من كثرة شفاعات الشيخ ، ذلك في بدايات شهرته ، فجاءه المرسول من الحكومة ، أو ربما اجتهاداً منه . فمفاد الكلام الذي تكلم به مع الشيخ ، أنه قال : أنت أُرسلت للقضاء ، لا تشغل نفسك بالبناء و المدارس ، و متابعة أحوال الناس و الشفاعات ، لا بد أن تشتغل بالقضاء فقط ، و لا تشغل نفسك بشيءٍ آخر . و يضيف هذا المرسول ، فيقول : و ما أتعبت فيه نفسك فالحكومة تكفيك ، من كان عنده الحاجة يرسل للملك أو يأتيه ، يقضي حاجته .

فالشيخ –رحمة الله عليه– قال لهذا الشخص : أنا قصدي عندما أعمل هذا العمل تطبيق حديث النبي ﷺ : **اشفعوا تؤجروا ،** فإن جاء شيء من المسؤولين أو من أهل المال فالحمد لله ، و إن لم يأت فالأجر حاصل ، و هذه طريقتي و لن أغيرها .

ثم أضاف : القضاء ليس القضاء في شاة ، أو بعير ، أو بقرة ، إنما القاضي عليه أن يقضي ، و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، و يدعو إلى الله ﷻ ، و يصلح بين الناس ، و يقضي في أحكام الطلاق.

فذكر جميع الأمور المطلوبة من القاضي ، فإن جاء شيء من الحكومة ، و إلا سأسير على طريقتي .

فلما أُخْبِر هذا الرئيس أو المسؤول قال : إن كان هذا كلام الشيخ فأي شيء يأتي منه لا تردوه ، و أنا معه لعلي أحصل على الأجر .

الشيخ –رحمه الله– والزهد

الزهد ظاهر في حياة الشيخ ، في لباسه ، في أكله ، مع أنه لو أراد الدنيا لتسابق الناس لخدمته ، لكن لا يأخذ شيئاً من أحد من المسؤولين ، إلا لنصرة الدين .

من مواقفه في الزهد : جاءه أحد الطلاب بقصيدة فيها مدح للشيخ ، نظمها في خمسين بيت تقريباً ، أصرّ على الشيخ أن يُسمعهُ القصيدة ، فالشيخ امتنع ، و لم يرغب في ذلك . فقال الطالب للشيخ : أن سأقول القصيدة ، إن كان بها ملاحظات فأوقفني . فبدأ ، فكلما ذكر بيتاً في مدحه ازداد تسبيحه و ذكره لله ، فلما وصل للبيت السابع أوقفه قال : تريدون نشرها في المجلة ، يعني مجلة الدعوة ، لأن هذا الرجل كان مندوب مجلة الدعوة أو المسؤول عن بعض الأمور في مجلة الدعوة ، فقال الشيخ : لا تنشروها ، بل مزقها الآن مزقها ، فمزقَها هذا الشخص . و أشاح الشيخ بوجهه عنه و هو يستغفر الله و يحوقل .

جاءه مندوب من أحد الأمراء ، و قد أهداه مبلغاً كبيراً ، فقبله ، ثم كره ذلك ، و لم يرتح ذلك اليوم أبداً ، على الرغم من أنه وزع بعض هذا المال على الفقراء في مجلسه . يقول أحد مرافقي الشيخ : فظهرت على وجه الشيخ علامات الكراهية ، و تألم لقبول المال ، لكنه قبله لأجل حوائج الناس ، مع أنه هدية . قال له المندوب : هدية لك يا شيخ . ففرق الشيخ بعضه ، ثم دعا هذا الموظف المرسل من الأمير ، فقال : أنا ما ارتحت بأخذ هذا المال ، إما أن تأتي و تأخذه جميعه ، و المبلغ كبير ، أو تستأذن من الأمير أني أوزعه على الفقراء . فقال المندوب : الأمير يسمح لك ، وزعه كما شئت . فلم يبقَ عنده منه شيء .

لما انتهى من بناء بيته في الطائف ، و هذا البيت بخلاف بيت الشيخ في مكة المجاور للجامع ، و الذي لا يزال مفتوحاً في مكة ، فلما انتهى من بناء بيته في الطائف ، أرسل له أيضاً أحد الأمراء مبلغاً كبيراً لتعديل المنزل . فرد المال ، وقال : بارك الله لك في مالك ، و لا حاجة لي فيه . فدعا له و رد المال .

و كثرت على الشيخ الديون منذ مدةٍ طويلة ، فراتبه لا يبقي منه شيء إلى نهاية الشهر . ثم إن أحد الأمراء سمع أن الشيخ ينوي بيع منزله في الطائف لسداد الديون . فقال الأمير : استأذنك بإخبار الملك ؛ لعله يعطيك منزل . فمنعه الشيخ ، و لم يأذن له أبداً ، لا بأخذ مال ، ولا بإخبار الملك .

و كان يأخذ من وزير المالية قسطاً من المال . كتب لوزير المالية ، فقال له : أنتم تشاهدون كثرة الضيوف عندي . و الشيخ يومياً لا يقصر عن ذبيحة في كل غداء و عشاء طيلة عمره ، و لا يعرف أنه أكل وحده أبداً ، و لا مع أهله أبداً طيلة عمره ، منذ أن اشتهر في عمر السبع والعشرين .

الشيخ والتوقف في الفتية

قول لا أعلم ، لا أدري ، الله أعلم ، سأسال أهل العلم ، كثيرة على لسان الشيخ ، و لا يأنف من قول لا أدري ، أو لا أعلم ، أو يتراجع عن القول.

مثل مسألة سمعتها في البرنامج الشهير (نور على الدرب) في أشرطة مسجلة قديمة ، و كان السائل قد سأل مسألة عن الخلع و الطلاق و فيها اشتباه . فأجاب الشيخ في الحلقة التالية من البرنامج قائلاً : أن السؤال الذي كان قد ورد إليَّ في الحلقة الماضية كان عن كذا و كذا ، و إني قد أخطأت .

و يتابع الشيخ : و لما انتهيت من الحلقة سألت بعض طلبة العلم من إخواني فأجابوني ، و الجواب الأول خطأ و الجواب الصحيح كذا و كذا ، ثم أعاده .

و سمعت أيضاً في (نور على الدرب) امرأةً تسأل ، فتقول : أنها لا ينام أولادها حتى تقص بعض القصص و الحكايات و السوالف التي هي كذب ، لكنها تحث على الخير و فعل الخير قبل النوم لأولادها الصغار ، هل يجوز ، أو لا يجوز ؟ فقال الشيخ : لا أدري .

و سُئل الشيخ : هل أحكام التجويد بالتفصيل رويت عن رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا أدري .

و سؤال آخر : أيهما أفضل أجراً ، الإمامة أو الأذان ؟ قال : لا أدري .

و سُئل عن من الإنسان يأتي يوم الجمعة و الإمام يخطب ، و لم يدخل المسجد بعد ، يسير في المواقف و يسمع الخطبة ، هل يجوز أن يتكلم أو يرد على الهاتف و يخاطب من معه ؟ قال الشيخ : لا أدري .

كذلك سئل : هل ساعة الإجابة يوم الجمعة تنتقل أو تكون ثابتة في آخر ساعة ؟ قال : الله أعلم .

و سُئل : هل صلى النبي ﷺ المغرب في حال الخوف ؟ فقال: لا أستحضر شيئاً .

و سأله سائل عن صفة خاتم رسول الله ﷺ كُتب عليه : (محمدٌ رسولُ الله) ، فسُئل : أيُّ الأسماء أول محمد ، أو رسول ، أو الله لفظ الجلالة ؟
و معلوم عند العلماء أنه لفظ الجلالة ، كما قال ابن رجب و غيره ، فقال الشيخ : لا أعلم .

و سئل هل بيعة العقبة أفضل من بدر أم لا ؟ فقال : الله أعلم .

في درس الحرم سنة ١٤٠٢ هـ ، سُئل : هل الأنثى المولودة يحلق رأسها و يتصدق بوزنه ذهباً ، أو فضة ؟ فقال الشيخ : ما عندي علم ، سأسأل إخواني من طلبة العلم ، و أجيب غداً إن شاء الله .

سماحة الشيخ مع الصغار

كان الصغار إذا قدموا عليه يكرمهم و يحييهم . و مما يبدأ به : إكرام الصغير قبل والده ، فيفرح الرجل إذا أتى بولده عند الشيخ وسلم عليه . و كان الشيخ يسلم على الطفل و يدعو له ، و يسأله الشيخ : من ربُّك ؟ ما دينك ؟ ماذا تحفظ من القرآن ؟ أين تدرس ؟ ما إعراب الله أكبر ؟ و غيرها من تعامله مع الصغار .

الشيخ رحمه الله يستقبل الاتصالات الهاتفية ، و من عادته أحياناً يضع مكبر الهاتف إذا لم يكن عنده إلا قلة من الحضور ، أو أن يخبرهم بالسؤال بعد ما ينتهي من المتصل.

فاتصل به مرة ولدٌ صغير قال : يا شيخ عندي اقتراح .

قال : تفضل

قال : يا شيخ ، كثر الناس عليك ، وكلهم يأتيك من كل جهة ، فلو تضع مفتياً معتمداُ في كل منطقة من مناطق المملكة ؟

قال الشيخ : ما شاء الله يا ولدي ، كم عمرك ؟

قال المتصل : ثلاث عشرة سنة .

قال: اقتراحٌ ممتاز ، والله يوفقك ، اكتب لنا لهيئة كبار العلماء هذا الاقتراح ، و إن شاء الله سندرس هذا الأمر ، و نعمل به .

ثم لما انتهى الشيخ من المكالمة أمر الكاتب بكتابة هذا الاقتراح.

تروي ابنة الشيخ الجوهرة ، فتقول : لما كنت صغيرة اختلفت أنا و أحد إخواني في طريقة الوضوء في التقديم و التأخير . فعلم بهم سماحة الشيخ و ناداهم ، قال : احضروا الكتاب .

فأحضروا الكتاب ، ثم أمر البنت أن تقرأ . فلما قرأت عرفت أنها أخطأت في ترتيب الوضوء ، ثم شرح لها . و قال : فهمتي ؟ قالت : فهمت ، ثم شرح لها صفة الوضوء ، ثم قامت بعد ذلك .

و هذا يبرهن اهتمامه في التربية على النقاش و الحوار ، من ذلك إحضار الكتاب و قراءته ، و أيضاً شرحه لصفة الوضوء ، و غير ذلك .

فتاوى الطلاق

كثيرة جداً قضايا الطلاق التي أفتى فيها الشيخ -رحمة الله عليه – بعد أنه عرضت له ، بل ربما جاء وقتٌ لا يتكلم في فتاوى الطلاق إلا سماحة الشيخ ، لا أنه يمنع غيره ، لكن لأن القلوب تجتمع عليه ، و هو مشتهر بالفتاوى في الطلاق لما كان قاضيا في الخرج ، و يخالف المذهب ، و يخالف شيخه الشيخ ابن إبراهيم و ما عليه الفتوى ، ليس لأنه يحب الشهرة أو مخالفة العلماء .

و قد جاءه خطاب من الملك عبد العزيز – رحمه الله – مفاده : أنك تخالف العلماء في قضية الطلاق ، فبين الشيخ ، و هذا لما كان قاضياً في الخرج ، بين طريقته في فتوى الطلاق بالأدلة ، ثم قال : أنا أتبع علماء أكابر في هذا الشأن ، و علمائي و شيوخي لهم التقدير و الاحترام ، و لا أرد أقوالهم . و كان

العلماء بعد ذلك يخيرون السائل بين فتاوى ابن باز ، أو فتاوى المذهب . فاشتهر أمره من ذلك الوقت .

و يقول الشيخ عن نفسه : لم أندم على أي قضية طلاق ، إما بإرجاع المرأة لزوجها ، أو بالتفريق ، بل نُقل عنه أنه قال : ما أفتيت في قضية طلاق حتى صليت ركعتين و استخرت .

احترام الشيخ للعلماء

محبة الشيخ للعلماء ، و ذكره لهم كثير ، و ثناؤه عليهم كثير جداً . و من سعة أفق الشيخ احترامه للرجال من شتى المذاهب ، و احترام علماء المذاهب ، و لم يُعهد عنه أن جرح أحداً. و إذا احتاج إلى الرد ، فإنه يرد بلا تأنيب لأحد أو جرح لأحد . ينصح بالتي هي أحسن ، باللتي هي أقوم ، لا يستخدم الكلمات الجارحة ، النابية ، أو الشديدة على أحد ، ولسهولته و لينه في الخطاب و رفقه – رحمة الله عليه– استحوذ على قلوب كثيرٍ من الناس ، بل قال عنه الشيخ يوسف القرضاوي –وفقه الله– ، كتب مرثية في الشيخ و مقالاً خرج في بعض كتبه ، و نُقِل ، قال : لا يبغض الشيخ إلا مدخولاً في دينه أو عقيدتِه ، أو ملبّساً عليه . بمعنى أنه لم يفهم أو يعرف الشيخ .

و من احترام الشيخ لآراء العلماء ، استماعه لآراء الآخرين في المجامع الفقهية . و هو رئيس مجمع الفقه الإسلامي ، و قد ترأس مجامع كثيرة و معاهد و كليات ، و المعهد العالي للقضاء ، و الجامعة الإسلامية ، و ربما تولى عدداً من المناصب في وقتٍ واحد ، و كلها يقوم بها أتم قيام ، فإذا جلس في المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي يستمع لآراء جميع العلماء ، و يستمع لآراء

المتخصصين ، فإذا كان الأمر يتعلق بالطب يأتي بالأطباء ، و يسمع منهم كل ما يتكلمون به ، ثم يتكلم بعد ذلك .

و من احترامه للعلماء ، وافق أن أحد طلاب الشيخ رتب له جلسة مع الشيخ عبد الرحمن البراك – حفظه الله– ، و الشيخ عبد الرحمن البراك من تلاميذه لما كان في الخرج. فيقول : لما حضرت ، ذهبت بالشيخ البراك إلى الشيخ ابن باز للاستفادة من علمه ، و أخذ ما عند الشيخ ابن باز من علم . فقال الشيخ ابن باز : فرصة يا شيخ عبد الرحمن ، بما أنك حضرت ، عندي بعض المسائل في الحيض أريد أن أسألك عنها . هذا مع إنه من تلاميذه . و الشيخ لا يتكلف في هذا الشيء ، من لم يرَهُ يظن أن هذه الأمور فيها تمثيل أو غرابة ، و هذا ليس بغريب على من رأى الشيخ ، و رأى تعامله و بساطته .
كما أن عدداً من الشباب ، أخبرني بعضهم أنه رأى بعض الأمراء يأكلون مع الشيخ و الفقراء على مائدته على الأرض ، هذه طريقته في مائدته ، و جمعه للناس .

كان إذا اجتمع مع هيئة كبار العلماء يتيح لهم أن يتكلموا جميعاً ، و يقول : إذا انتهيتم من المسائل العلمية و الفقهية ، و الاختلاف في الفتوى أجعل كلامي كلام نائبي ، و كلامي آخر شيء ، حتى ما يميل بعضكم لقولي ، ثم يتكلم و يرضى الجميع .

من المواقف أذكر بعض المواقف و الخواطر :
أحد كبار الصالحين و القراء و الرقاة ، الظاهر إنه ما زال موجوداً في إحدى القرى المجاورة للرياض ، رجلٌ صالح يذكرُ عنه عدد من العلماء و طلاب العلم أنه ما يبدأ بقراءة الفاتحة على المريض حتى يهرب الجن الذي به . و هذا رجلٌ صالح ، فمن صلاحه منعه الشيخ ابن باز من القراءة خشيةَ تبرك الناس به ، و الشيخ يعلم صدقه و فضله ، لكن منعه الشيخ ، و الشيخ ربما

يمنع بعض الناس و بعض المعبرين ، و يمنع بعض الذين يفتون بالطلاق ، و يمنع بعض الدعاة ليس منعاً قوياً ، أو تهديداً ، إنما يكتب له : لو أنك يا فضيلة الشيخ لم تقُل كذا و كذا ، ثم يفهم إنه ما يفتي ، أو لا يتسرع في الفتيا .

فهذا الراقي بعد وفاة الشيخ ابن باز طلب منه أحد كبار العلماء أن يقرأ على امرأة من أقاربه . فقال الراقي : لا أستطيع أن أقرأ ، و الشيخ عبد العزيز منعني ، اعطني موافقة منه في قبره ، و اسأله إن كان موافق على القراءة .

فهذا من صور محبة الناس للشيخ و انصياع العلماء له ، و يصدق فيه كما قال الفرزدق :

تَرَى النّاسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلفَنا وَإنْ نَحنُ أوْمأنا إلى النّاسِ وَقّفُوا

و هذا يصدق صدقاً واضحاً على سماحة الشيخ –رحمة الله عليه–.

محبة الشيخ لشيوخه وأقرانه والثناء عليهم والدفاع عن أهل العلم ولو اختلف معهم

بعض الناس يأتيه و يخبره عن أحوال بعض العلماء ممن عليه ملاحظات ، أو فتوى خاطئة ، أو خطأ في العقيدة . فما يزيد الشيخ على أن يقول : ادعوا لهم بالهداية ، نسأل الله أن يهديهم ، و لا يقوم من المجلس وقد تكلم فيه أبداً .

إذا كان في مجلس مع الشيخ عبد الله بن حميد ، و هو من أقرانه أكبر منه قليلاً ، لكن شهرة ابن باز أكثر ، و أعلم بلا شك ، و الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى ، و رئيس الحرمين ، فإذا كان الشيخ ابن باز و ابن حميد في مجلس يتعبان من يباشرهما بالقهوة ، كلٌّ يقدم الآخر . و إذا

قدمَ إليهما شخص يسأل أحدهما ، فكلٌّ يحيل على الآخر ، و لا يتقدم ابن باز على ابن حميد أبداً في الإمامة تواضعاً مع أقرانه .

إن علمَ أن أحد المشايخ قدم إليه من المشاهير أو غيرهم ، يخرج إليه إلى الباب يستقبله ، على كثرة مشاغله . و قد يكون المجلس مكتظاً بالحضور .

أقيم حفل خيري مرة في (دار المهاجرين بمكة) ، و وقف عند الباب قبل الدخول هو الشيخ عبد الحق الهاشمي ، أحد العلماء المحدثين من علماء الهند سكن في مكة قديماً ، و مسنَدٌ إلى النبي ﷺ ، فالشيخ يأمره بالدخول ، و عبد الحق الهاشمي يمتنع قائلاً: يا شيخ أنت أعلم وأفضل ، ادخل. فوقفوا وقتاً عند الباب ، ثم قال عبد الحق الهاشمي : سأكون بين يديك مثل أنس أمام الرسول ﷺ ، أنس خادم الرسول ﷺ كان يمشي أمامه ، فمشى أمامه تشبيها لنفسه بأنس رضي الله عنه .

مناصحة الشيخ للحكام

الشيخ يسير في تعامله مع ولاة الأمر في هذه البلاد أولاً بطاعة الله و رسوله ، ثم طاعته لولاة الأمر ، و المناصحة لهم ، و اللطف معهم ، و تذكيرهم . و سأذكر بعض المواقف المتفرقة التي لا تجتمع تحت نقاط . فالشيخ له مواقف كثيرة في المناصحة .

مرةً في مجلس ، أو في درس من دروس الشيخ ، أحد الحضور بدأ يشتد على الشيخ في منكرات و مخالفات ، كأنه يعرّض بالشيخ أنك ساقط و لا تنكر في المحاضرات و الدروس العامة بعض هذه

المنكرات . فقال الشيخ : الحمد لله ، نكتب مذ خمسين سنة للمسؤولين في مثل هذه الأمور . اكتبوا أنتم ، استعينوا بالله ، و أنا إن شاء الله سأكتب .

لما ألّف القذافي (الكتاب الأخضر) معارضة للقرآن ، و بين أن القرآن محرف مباشرةً و ضمناً ، أرسل الشيخ له وفداً لمناصحته .

و لما كتبت امرأة إيطالية في الصحف الليبية أني التقيت برسول الصحراء ، أرسل منكراً عليه : لا بد أن تنكر على هذه المرأة ، و تعلن تراجعك عن (الكتاب الأخضر) في وسائل الإعلام ، و تعلن الرد على هذه المرأة أنك لست برسول.

و لما حذف أيضاً آية : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحد ﴾ ، ﴿قل يا أيها الكافرون ﴾ و السبب أن القذافي يقول : المخاطب بها الرسول ، و لا يلزم ، فكان يقول (الله أحد) ، (يا أيها الكافرون) ، هذا رأي القذافي . فأنكر عليه الشيخ بالاتصال ، ثم اقتنع القذافي في ذلك الوقت .

و من المواقف أيضاً ، بلغه أن الرئيس التونسي السابق ربما منع بعض الناس من الأضاحي ، و من الصيام ، و في رأيه أن هذا يضعف الناس عن الأمور التنموية في البلد ، فمن صام ضعف ، و من دفع مالاً للأضاحي نفد ماله ، فاتصل به الشيخ مباشرةً ، و أنكر عليه .

مواقف الشيخ في الإنكار كثيرة ، و ميزة الشيخ في هذا الأمر أنه لا يوسط أحداً ، للتأكد بنفسه ، ثم يناصح المسؤول أيضاً بنفسه ، باللتي هي أحسن ، للتي هي أقوم .

سماحة الشيخ وسعة الصدر وحسن الخلق

من جوانب العظمة في سيرة هذا الرجل ما أعطاه الله ﷻ من حسن الخلق ، و تحمل الناس، متخلقاً بأخلاق النبوة مع العدو و الصديق ، و الصغير و الكبير ، إذا حضر في المجلس يسأل جميع الحضور عن أسمائهم و أحوالهم و أهلهم ، و الأمطار و المشايخ التي في ديارهم إلى غير ذلك ، إلا إذا كان في المجلس معاملات كثيرة أو فتاوى كثيرة ، و لا يتأفف من إزعاج الناس له .

من سعة صدره – رحمه الله – عدم مقاطعة السائل و إن أطال في السؤال ، يسمع السؤال كاملاً ، ثم يجيب. فقد جاءه مرة أحد الأشخاص في الحج ، بعد جهدٍ كبير في الحج ، يوم حافل بالعلم و العبادة و التعليم و استقبال الوفود ، لما نام في وقتٍ متأخر من الليل جاءه هذا الرجل يريد أن يسأل الشيخ . فقالوا له : الشيخ متعب ، و طول اليوم متعب ، لو صليت معنا الفجر ؛ لأن الشيخ عنده درس ساعة بعد الفجر، ثم الإفطار ثم استقبال الوفود ثم صلاة الظهر، والغداء ثم صلاة العشاء ، هذه طريقته. فقالوا له : لو أنك صليت الفجر مع الشيخ و انتظرت ، فدعه ينام الآن . فقال الرجل: لا ، أنا أريد الشيخ في سؤال . قال من حوله : لو انتظرت . قال : ما أريد إلا الشيخ .

و هناك طلاب علم موجودون مع الشيخ ، عدد من العلماء يكونون معه ، يفتون في مخيمه ، و يذهبون لإلقاء بعض المحاضرات . فقال : ما أريد إلا الشيخ.

فدخل إلى خيمة الشيخ ، إلى فراشه ، فأستيقظ الشيخ وجلس يسمع السائل، و لما انتهى السائل ، قال له : انتهيت يا ولدي ؟

قال: نعم انتهيت ، فأجابه ، ثم عاد الشيخ للنوم .

يقول المرافقون للشيخ : كان السؤال عادي جداً ، ربما يجيب عنه أي طالب علم .

أخبرني من كان مرةً أيضاً على مائدته في الحج ، أحد السائلين ، رجلٌ جلف ، كبير في السن ، لم يتأدب بأدب العلم ، و لا يعرف كيف يسأل العلماء ، فقال للشيخ : والله ما ندري من الصادق من الكاذب فقهه من العلماء ، واحد يقول حرام ، و واحد يقول حلال في أي مسألة من المسائل. فكيف يتكلم بهذا الكلام على الشيخ ، و على مائدته ، مع شهرة الشيخ و علمه . و الشيخ لم ينهره ، و لم يقل شيء ، فقال : الحمد لله ، العلماء كل له دليل ، من أفتاك بتحريم هذا الشيء له دليل ، و من أفتى بحل هذا الشيء له دليل .

مرةً جاءه شخص أعرابي من مكانٍ بعيد يريد السؤال عن طلاق ، في بيته في الرياض ، و كان هذا الرجل على عجلة من أمره ، يريد سؤال الشيخ وهو ذاهب للغداء ، فقال الشيخ : انتظر بعد الغداء إن شاء الله . قال له الرجل : يا شيخ ، أنتم متفرغون ، لكننا مشغولون. قال الشيخ : انتظر . قال : ما ابغى غداك . فقال الشيخ : بُصْرَك . أي : أنت أبصر بنفسك .

فالشيخ تركه حتى بعض المرافقين للشيخ قالوا : لو تأكل ؟

فالحمد لله ، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم أكل . و بعدما انتهى ، سأل الشيخ و هو يغسل يديه بعد الأكل عن مسألة الطلاق . فقال الشيخ : لم تطلق زوجتك . فاعتذر من الشيخ و قبل رأسه و بكى ، ثم ذهب .

أشد ما تجد من الشيخ من القول عندما يغضب : اللهم اهدنا ، أو اللهم اهده ، أو سبح .هذا إذا غضب ، أما كونه يدعوا على أحد أو يشتم أحد ؟ أبداً ، لا يعرف عنه –رحمه الله– .

و قد بين الله ﷻ لرسوله ﷺ أنه بلينه و رحمته تبعه الناس : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ، فالنبي ﷺ على تكامل صفاته و أخلاقه و شخصيته ، من أهم ما جمع أصحابه عليه حسن الخلق ، فمن باب أولى من يتبع الرسول، أو من يقتدي به .

من أخلاقه –رحمه الله– عدم التثريب على المخطئ ، بل التأكد منه و مناصحته سرّاً ، و سلامة الصدر للمخالف أيضاً .

مرةً جاء أحد العلماء الأكابر مشهور من علماء إحدى الدول إلى مجلس الشيخ ، و هذا العالم أفتى بفتاوى فيها ملاحظات في مسألة الغناء ، و كشف الوجه ، و مسائل من هذه الأمور ، و حول تخفيف اللحية وحلقها ، فالشيخ –رحمه الله– خرج له إلى سيارته أو استقبله في المجلس، و أول ما جلس في المجلس رحب به ، و لما انتهى ودّعه إلى السيارة و أغلق الباب له .

و كان أول ما جلس الشيخ في مجلسه بعض الشباب المتسرعين استعجل وقال للشيخ : ما حكم سماع الغناء ؟ فقال الشيخ : سبح ، سبح . و أمر بالقهوة و التمر للضيوف .

و لما سكت الشيخ أيضاً سأل سائل آخر ، أو هو نفسه ، قال : يا شيخ ، ما حكم حلق اللحية ؟ قال : سبح ، سبح . و كانت لحية الشيخ الضيف خفيفة ، أو ربما يحلق اللحية ، لكن له جهود بلا شك ، وعرف الشيخ فضله ، فأكرمه غاية الإكرام ، و خرج معه إلى السيارة.

أما السائل ، فلم يجبه الشيخ ، بل قال : انتظر ، و سبح ، ثم انتهى من الغداء ، و ودع ذلك العالم .

يخبرني أحد أئمة الحرم النبوي قائلاً : سافرنا إلى إحدى بلاد شرق آسيا للدعوة في وفد رسمي بعد وفاة الشيخ ابن باز ، يقول : أن رابطة العلماء في هذه البلاد ، يعني العلماء كلهم و لله الحمد على قول واحد ، و هو قول أئمة السلف في العقيدة و في الفقه و الأحكام، يقولون : كان عندنا أحد العلماء له تأثير و أثر ، و عنده بعض التصوف ، و له أثر على حكومته و بلدته ، و على الناس ، و كبير في السن .

يقولون : كلما أتينا بمسألة علمية أو عقدية في المجلس لمناقشتها ، هذا الرجل يخالفنا ، و له شأن في بلاده ، فلما أخبرنا الشيخ ابن باز ، قال : اشتروا لسانه ، و أنا مستعد ادفع له الراتب من عندي شهرياً ، فلما دفع له الشيخ الراتب وقف لسانه . و كان بعد ذلك إذا عرضت أي مسألة ثم قالوا

قول الشيخ ابن باز و مشايخ السعودية ، يقول : معكم على القول .فهذه لمحة من تعامله –رحمه الله– مع العلماء .

مظاهر حمله لهموم الناس و الحرص عليهم ، و رسائل الشيخ في مناصحته للحكام و للمسؤولين و للعوام و عموم الناس كثيرة جداً ، و يستغل مواسم العبادات و الطاعات ، و مواسم أحوال المسلمين سواء فيضانات ، أو حروب و قتل و تشريد ، لا بد أن يرسل تعميماً في ذلك ، و لربما أئمة المساجد الذين كانوا في زمنه يدركون كثرة تعاميم الشيخ في القنوت ، و في الحث على جمع التبرعات لإخواننا المستضعفين ، و غيرهم .

و الشيخ له مندوبين في كل دول العالم تقريبا ؟ مندوبون يصرف عليهم من راتبه ، و ليس من أموال الدولة ، كم نتوقع عدد المندوبين من الدعاة الذين يتبعونه ؟

ألف مندوب ، كلهم يتبعون الشيخ ، و يخصص من راتبه ، و هو لا يلقي بالتبعية على الآخرين . فأي منكر يسمع به ، أو فعل خير ، أو بناء مسجد ، فإنه لا يقول اكتبوا للمسؤولين ، أو اكتبوا لفلان و فلان أبداً . يقول لهم : اكتبوا لي ، ثم تدخل ضمن المعاملات ، و تنجز في يومين ، أو ثلاثة أيام ، مسائل الطلاق إن تأخرت ، فليس أكثر من أسبوعين ، إذا تأخرت ، إلا المسائل المعضلة جداً ، أو أن يكون مريضاً.

حاله و هو مريض عجيبة ، و هو مريض تكون المعاملات موجودة عند سريره ، حتى في مرض موته ، و نصحه بعض الأطباء بعدم التفكير كثيراُ في أحوال الناس في مرضه الأخير ، فقال : هذه طريقتي ، و لا أستطيع أترك هذا العمل .

و كان إذا خرج الأطباء من عنده يقول : أعطوني المعاملات ، ثم يبدأ بإنهائها.

و الأعجب أن أحد المسؤولين يقول : جاءتني شفاعة من الشيخ ، مؤرخة و هو على فراش الموت في السادس و العشرين من شهر محرم ١٤٢٠ ، و الشيخ توفي يوم الخميس السابع و العشرين من الشهر ذاته .

يشرف الشيخ على مصاريف كثيرة للفقراء . تقول إحدى حفيداته : تلقيت اتصالاً من امرأة من كوسوفو بعد وفاة الشيخ بأيام تعزيني . فسألت هذه المرأة : من أين عرفتِ الشيخ ؟ قالت : كيف لا أعرف الشيخ ، و راتبي من ماله الخاص!
و كثير جداً ، في أفريقيا ، أمريكا ، الفلبين ، و في أوروبا ، منها ما يعلم بها الناس ، ومنها لا يعلمون بها ، إنما تكون بين الشيخ و بين كاتبٍ واحد ، بل إن بعض الكُتّاب لا يدري عن الكاتب الآخر ، فعنده أكثر من كاتب و أكثر من مدير لأعماله و مكتبه .

مزاحه و طرائفه

بعض الناس من تهيبهم من الشيخ ربما ينعقد لسانه ، مع إن الشيخ بسيط ، و من التقى به أو رآه وجد أنه يدخل القلب من أول نظرة ، و لا يحتاج إلى مقدمات أو شفاعات ، و مجلسه في العمل لا يجلس على المكتب المخصص له في الإفتاء ، إنما يجلس في كرسي مع كراسي الناس في مجلسٍ كبير ، ولا يدخل الناس واحداً واحداً ، و إنما الجميع ، فمن سبق للشيخ أخذ ما يريد .
من الناس من يهاب الشيخ ، و من هيبته قد لا يستطيع أن يتكلم ، بل ينقل أحد كتاب الشيخ : جاء رجلٌ من بلاد روسيا ، يقول : كان يسمع بالشيخ ، و لم يره ، فلما جاء إلى مجلسه يريد أن يسلم عليه

وقفت رجلاه ، و لم يستطع التحرك . يقول الكاتب : أنا الذي كنت أدفعه و أقول : سلِّم على الشيخ . فكان يتردد ، و سلم و هو يرجف . فالشيخ مهيب مع المحبة ، محبته في الهيبة –رحمة الله عليه-.

و كان له مزاح و طرائف مع مرافقيه و مع الناس ، و مع أولاده . فإذا جاءه سؤال و في السؤال طرفة ، أو كان مضحكاً ، بعد ما ينتهي السائل من الهاتف ، يقول : سألني عن كذا و كذا .
و كان إذا دخل المجلس لتسجيل برنامج (نور على الدرب) يكون معه عدد قليل ؛ ليجلو الصوت ، و لأجل أن لا تُسمع كحة أو شيء ، فيكون العدد قليل . و كان الشيخ أول ما يجلس يلقي بالشماغ أو يعطيه لأحد الموظفين ، أو أحد الحضور ممن دخل ، يقول له : امسك الشماغ أمانة ، ما هو لك .

غاب القارئ الرسمي الذي يقرأ عنده مرة ، فقرأ عليه أحد الطلاب ، و كان هذا الطالب ملازم للشيخ ، لكن عنده أخطاء كثيرة في القراءة ، و كلما قرأ عدّل له الشيخ ، ثم يقرأ و الشيخ يصوّب له. فقال الشيخ : ما اسمك ؟ قال : صقر . قال الشيخ : الصقر يتعلم من أول مرة ، ما يحتاج يتعلم أكثر من مرة .

من حسن تعامل الشيخ مع كثير من الناس ، و مع الصغار خاصة ، فعدد من طلاب العلم وفقهم الله –عز وجل- لطلب العلم و للدخول في الجامعات و مواصلة الدراسة حتى الماجستير و الدكتوراه و القضاء كان بنصيحةٍ من الشيخ و هم صغار . فكانوا يأتون إليه و هم في المرحلة الابتدائية ، و ربما المتوسطة أو الثانوية . و كان الشيخ يقول إذا سألهم : من أين أتيتم ؟ فيقولون : من الشيخ فلان . فيقول : احرص عليه و اطلب العلم ، و ادخل الجامعة . ثم وفقهم الله –عز وجل- في كثير من هذه النصائح و التوجيهات .

إذا كان ضيفاً على أحدهم ، و أكل طعاماً حاراً عند المضيّف لهم ، يقول : أَكَلَ طَعَامُكُمْ اَلْأَبْرَارَ ، يعني : أن الطعام هو الذي أكل الأبرار .

جاءه مرة أعرابي يريده في فتوى أو شفاعة . فقال له : ما اسمك ؟ قال : ذيب . قال له : و زوجك ؟ قال : ذيبة . قال له : والله عينوا خير عيالكم ، ذيب و ذيبة.

و بعض الأخبار أنقلها من أكثر من مصدر من تلاميذ الشيخ ، فمرة قال للسائل: الله يعين عيالكم .

و بعضهم يقول أن الشيخ قال : وش يسووا عيالكم بينكم ؟

و بعضهم يقول أن الشيخ قال: الله يكفينا شركم . و ربما هذه و هذه .

من صور التحايل من بعض الناس : جاء مرة رجل يريد الشيخ على انفراد ، و أكثر ما يتعب العلماء و الدعاة و المشايخ هذه الجلسات الخاصة ، فلا بد أن يتحمل العلماء ، فجاء الرجل ، و جلس مع الشيخ في مجلسه العام ، فلما انتهى الشيخ من مجلس المغرب ، و صلى العشاء ، دخل عليه هذا الشخص ، و كان معه كاتب واحد فقط ، خشية أن يُؤذى الشيخ . فقال الرجل : يا شيخ ، إني رأيت رؤيا . قال له : تفضل ما هي الرؤيا ؟ قال: إني رأيت أن النبي ﷺ في المنام ، و عرضت له حاجتي ، فقال : اعرضها على ابن باز يحلها لك . فقال الشيخ : ما هي الحاجة التي عرضتها على رسول الله ﷺ في المنام ؟ قال الرجل : إني أريد الإقامة في هذه البلاد ، و لا عندي فلوس ، و أريد عمل أيضاً . دبر لي عمل . فضحك الشيخ وعلم أنها لعبة و خدعة . فقال الشيخ : اكتب لي من يزكيك من العلماء و الدعاة من بلدك التي أتيت منها ، أو من المشايخ الموجودين ، و الظاهر إنك ما رأيت الرسول . فالشيخ تلطف به رغم كذب الرجل و خداعه ، و لم يرجع هذا الشخص ؛ لأنه كاذب .

و انظر إلى ما هو أغرب من ذلك ، ذلك أن الشيخ كان يصلي مرةً قيام الليل في منزله في حوش البيت ، و أتى سارق لبيته ، و لم يعلم أن هذا بيت الشيخ ، و لم يتفطن إلى أنه بيت الشيخ و فيه حرس ، فقبض عليه الحرس ، و أتوا به إلى الشيخ بعد أن انتهى . سمع الصوت ، ثم سأله : ما عندك ؟ قال الرجل: إني محتاج يا شيخ ، و والدي مريض يحتاج لعلاج ، و لم أجد مالاً ، فأبحث و أترزق . فقال الشيخ : كم حاجتك ؟ فكتب له ما يحتاج ، ثم عاد الشخص بعد أن انقطع عن الشيخ مدة ، و وفقه الله ﷻ للهداية فأخذ يطلب العلم عند الشيخ .

و من المواقف المتفرقة أن أحدهم رفع له طلباً أو شفاعة بأن امرأة من قريباتهم معاقة ، و أن الخطاب و الرجال لا يرغبون في الزواج منها إلا بشراء بيت ، فلو كان عندها بيت فإنه أحرى بتقدّم بعض الخطاب طمعاً في مالها ، أو في البيت . فقال الشيخ : ابحثوا لها عن بيت . فبحثوا عن بيت فلم يجدوا إلا بيتاً يناسبها بأربعمائة ألف ريال . فقال الشيخ : اشتروا لها هذا البيت ، وسُلِّمَ لها البيت ، و كُتِبَ البيت باسمها ، لا باسم الشيخ .

أول كتاب ألفه الشيخ هو : (الفوائد الجلية في المباحث الفرضية) في الفرائض ، كتيب ألفه وهو قاضٍ في الخرج ، و له من العمر ثمان و عشرين سنة ، ثم ألف في المناسك : (التحقيق و الإيضاح) وهو أيضاً في الخرج ، و طُبِعَ مئات المرات بعدة لغات ، و كلما قرئ على الشيخ قبل الحج أو في الحج و علق عليه ، إما أن يزيد أو ينقص منه ، و يقول : ما أضعف الإنسان . ففي كل مرة يتبين له شيء في كتابه .

بكاء الشيخ

كثيراً ما يبكي الشيخ ، و هو من أكثر العلماء بكاءً عند سماع القرآن ، عند سماع الأحاديث ، عند ذكر شدة عيش النبي ﷺ و أصحابه ﷺ ، مواقف كثيرة ، و قلما يخلو مجلس أو درس من بكائه ، لكن مما يعلق بالذهن أن الشيخ لما كان مديراً للجامعة الإسلامية ، جاءه أحد الطلاب من خارج البلاد ، و الجامعة الإسلامية غالباً ما يقبلون الطلاب الوافدين من خارج المملكة ، و عندما لم يُقْبَل هذا الطالب ؛ لأن من شروط التحاق الطلاب أن لا يزيد عمره عن خمسٍ و عشرين سنة ، فجلس مع الشيخ جلسة ، فقال الشيخ : أنت رجل كبير تجاوزت الأربعين ، و لا يناسبك هذا الأمر ، و مخالف للشروط . قال الرجل : إذا سألني ربي يوم القيامة : لماذا لم تطلب العلم ؟ سأقول : الشيخ ابن باز هو الذي منعني من طلب العلم . فبكى الشيخ ، و كتب له ورقة للمسؤولين بأن يستثنوه .

ومن بركة الله ﷻ التي جعلها في هذا الرجل الذي طلب العلم بعد الأربعين ، أنه أصبح داعية في بلده .

و يبكي الشيخ أيضاً إذا سمع أخبار العلماء ، أو عالماً توفي ، يثني عليه ثم يبكي –رحمه الله– ، أو إذا سمع اضطهاداً للمسلمين ، أو إذا جاءه أحد الفقراء يشكو إليه أمره ، يبكي ، و لا يستطيع تمالك نفسه .

ومرةً لحقت به امرأة عند سيارته ، و كلمت الشيخ في قضية شفاعة ، بأنها من خارج هذه البلاد ، و أنها مطلقة أو أرملة ، و ليس عندها مال ، و لا يستطيع وليها يأتي من خارج البلاد . فأتم الشيخ لها ما تريد ، ثم لما أغلق الباب وضع رأسه على يده و بدأ يبكي . قال : مسكينة ، ليس لها أحد ، و بدأ يردد : مسكينة ، ليس لها أحد . يقولها ، وهو يبكي –رحمة الله عليه– .

الشيخ في الحج

يحج معه كل سنة ثمانمائة حاج سنوياً ، على نفقته . و لم يترك الحج ، فقد حج اثنتين و خمسين حجة ، و لم يترك الحج إلا عام وفاته ، ذلك عام ١٤١٩ هـ ، و قبل ذلك أيضاً لم يستطع الحج عندما سقط في الدرج و كُسرت رجله ، و ذلك عام ١٤٠٧ هـ .

في موسم الحج ، في مخيمه ، يُقَدّم الطعام و الماء لألف حاج من نفقته . و يكون في المخيم الضيوف. فيقول أحد المرافقين : مع أننا لا نضع إلا أكلاً يكفي لخمسمائة ، لكن الله –عز وجل- يبارك فيه ، و يفيض الأكل و يكثر ، ثم يوزع على باقي الفقراء الذين في الشوارع . و هذا الأكل لخمسمائة ، و بركة الشيخ معروفة ، بل بعضهم إذا ذهب إلى الرياض من الشباب من طلبة العلم يتواعدون إذا افترقوا بأن الموعد مجلس الشيخ ، أو صحن الشيخ ، و هذا معروف بين الشباب ، بل عموم الناس . و الله –عز وجل- يبارك في طعامه .

لا يرضى أن يخص في الحج بأي موكب ، تأتيه العروض من الملك و الأمراء أن يكون له موكب لوحده ؛ ليرمي و يرجع لمخيمه ، فلا يرضى بذلك ، بل يمشي مع الناس ، و يرمي ليلاً ، هو و الشيخ ابن عثيمين يرمون في الليل .

يتسابق الفقراء و المحتاجون للقرب منه مثل الأطفال الذين يتسابقون على أبيهم الذي جاء من سفر، و هكذا أكثر الفقراء و المساكين عند الشيخ ، بل كان الشيخ في السنة من التي لم يحج فيها في الرياض ، و ذهب العاملون معه و الكتّاب و المخيم كاملاً إلى الحج ، فتألم تلك السنة ، و كان يبكي على تركه للحج ، و أنه لم يقابل الناس ، فأتى شخصٌ من أفريقيا إلى مخيم الشيخ يريد أن يدخل عليه

، فقالوا : الشيخ في الرياض ، و لم يحج . قال : لا بد أن أدخل . قالوا له : ما حاجتك ، فنوصلها للشيخ بالاتصال ؟ قال : أنا مسكين ، و سمعت أن الشيخ أبو المساكين ، لا بد أن أدخل . فقالوا : الشيخ في الرياض ، ماذا تريد ؟ فأخذوا معاملته ، و أخبروا بذلك الشيخ .

الشيخ إمامٌ في العلم

الشيخ درسَ و تعلَّمَ و علَّمَ . جالس العلماء ، و انتفعَ بهم . طلب العلم ، وحفظ ، و لازم الشيوخ ، و قرأ كثيراً من الكتب .

إذا سئل عن أفضل الكتب و أحسن الكتب ، يقول : شرح النووي على مسلم ، قرأته ستين مرة ، بل كثيراً من الكتب قرئت عليه أكثر من مرة في السيارة ، و الشيخ إذا قُرِئ عليه الكتاب ، فهو حافظ متيقظ منتبه ، و يعرف الطبعات .

درسه يوم الخميس

في آخر حياته صارت دروسه يوم الخميس فقط ، لثلاث ساعات متواصلة ، و هو متربع على الكرسي لا يشرب ماءاً ، و لا يلتفت ، و لا يقطع الدرس ، و لا يتوقف أبدا . ثلاث ساعات مستمرة مع انتباهٍ كامل إلى أن بلغ التسعين ، و لا يُعرَف عن الشيخ أنه وهم لنسيانٍ ، أو لخرف أبداً ، فالله –عز وجل– بارك له في حافظته إلى وفاته .

يُقْرَأ عليه أكثر من عشرة كتب يوم الخميس ، و كل كتاب تقريباً يستغرق ربع ساعة ، إلى ثلث ساعة. و في المجلس عدد من العلماء و طلاب العلم ، فيقرأ على الشيخ ، و ينتبه لكل جزئية ، كل نقطة ، و ربما يصحح لفظة لا ينتبه بعض الطلاب لها ، و ينتبه الشيخ ، و هو مصغٍ للسمع .

مرةً عرض عليه برنامج الحديث في الحاسب ، فيه جمع لحديث النبي ﷺ ، فعرضوا على الشيخ هذا البرنامج ، هل هو مناسب أو غير مناسب ؟ فقال الشيخ : افتحوا لنا البرنامج . ففتحوا البرنامج ، ثم ذكر لهم لفظ حديث ، و أن يأتوا بالكتاب ، و ألفاظه ، و من خرجه ؟ فتأخر البرنامج ، ما فتح ، ثم لما فتح لم يجدوا الألفاظ متقاربة . فالشيخ لم يوبخ ، و لم يصدر فتوى ، إنما قال : أنتم مؤتمنون على حديث النبي ﷺ . فاعتذر له المشرف على برنامج الحديث ، فقال : يا شيخ ، إن هذا الحديث و عدد من الأحاديث أدخلناها خطأ ، فإذا دخل شيء خطأ يكون المخرجات خطأ . فذكرهم الشيخ بالله ، و قال : أنتم مؤتمنون على الحديث ، و سينفع الله ﷻ بهذا الشيء ، فتأكدوا من الأحاديث .

اسم الشيخ

أُنْشِئَت مواقع كثيرة ، و جامعات ، و جوامع ، و معاهد ، و مدارس باسم الشيخ ، و كان إذا سُئل في حياته عن تسمية بعض الجوامع ، أو المعاهد ، أو المدارس الأهلية باسمه لا يرضى ، بل يكتب خطاباً يقول : الأفضل أن تسموا هذه المدارس بأسماء الصحابة ، أو التابعين ، أو ابن تيمية ، أو ابن القيم . و الشيخ أُطلق اسمه على أشياء كثيرة ، و هو القائل –رحمه الله– عبارة انتشرت بين طلاب العلم ، هي : (الموت في سبيل الله سهل ، لكن الأشد منه و الأعظم : الحياة في سبيل الله) . فالإنسان يمكنه أن يدخل فيفدي بنفسه في معركة ، في جهاد في سبيل الله ، و ما هي إلا دقائق و

يموت ، لكن الأشد منه : أن يعيش في سبيل الله . و الشيخ طبقها –رحمة الله عليه– علماً و عملاً و اعتقاداً .

الشيخ في صباه

توفي أبوه و هو صغير ، فلم يدركه . و توفيت أمه و له من العمر خمسٌ و عشرون سنة . كان ضعيف البنية و هو صغير ، و ظل هكذا –رحمه الله– إلى أن توفي ضعيف البنية. و عمي في التاسعة عشرة من عمره ، و قد بدأ يضعف بصره قبل ذلك ، و عُرِض عليه أنه يتعالج ، ذلك أن بعض الأطباء قال له : لو تعالجت ، لعل الله يكتب لك الشفاء . فما كان جوابه إلا أن قال : لا ، أنا رضيت بقضاء الله ، و أرجو أن أدخل في حديث : من أخذت حبيبتيه وصبر عوضته منهما الجنة .

و جاءه مرة رجل من إفريقيا يبكي ، و يقول : يا شيخ ، والله لو تفتيني الآن بالتبرع بعيني ؛ لأعطيك إياها . قال الشيخ على ذلك: الله يوفقك.

فالشيخ –رحمة الله عليه– عمي في شبابه ، و لذلك لما قيل له : نُقل عنك أنك تقول : ليتني أبصر حتى أرى الإبل و أتأمل في قول الله ﷻ ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ ؟ قال الشيخ : لم يكن صحيحاً ، بل رأيت الإبل ، و عرفت الإبل .

و الشيخ له مؤلفات قديمة ، فيها تعليقات له على بعض الكتب مما حضر عند شيوخه ، إذا أخطأ بعض الكتّاب في كلمة ، أو قال : اسمح لي يا شيخ ، أنا أخطأت . يقول له الشيخ مصححاً : هكذا تُكْتَب ، مثلاً : عين و جيم ، إلى آخره .

من نعومة أظفاره و هو يسابق على الصف الأول ، كما قال ابن عمه الشيخ سعد بن عبد المحسن بن باز ، و هو يكبر الشيخ بعشر سنوات ، و كان قريباً من الشيخ ، و يعرفه منذ صغره ، فيقول : يسابق على الصف الأول من نعومة أظفاره ، و له مكان خلف الإمام ، لما كان عمره ثلاث عشرة سنة ، و لا يتخلف عنه أبداً.

و كان في أواخر حياته قد فقده بعض الكتاب من القائمين على المكتب ، و خافوا على الشيخ أن يكون أصيب بمكروه ، أو زاد عليه المرض ، فلم يصلِّ معهم الفجر . طرقوا عليه البيت ، فانتبه بعد ما انتهت المساجد من صلاة الفجر . فقال : لا حول و لا قوة إلا بالله ، من أول ما بلغت ، أول مرة تفوتني صلاة الفجر جماعة . هذا كلامه في أواخر حياته .

و يتحدث ابن عمه الشيخ خالد بن عبد المحسن عن كرم الشيخ في صباه ، فيقول : إن الكرم معروف جبلّة في الشيخ منذ أن كان صبياً ، إذا خرج من المسجد و عمره ثلاث عشرة سنة ، أي شخص غريب عن المسجد أو جاء عند أحد العلماء أو من أقرانه من الذين يدرسون عند العلماء يأخذ بيده و يذهب به إلى البيت ، و يعطيه أي شيء مما يأكلون . و استمر –رحمة الله عليه– إلى وفاته على حاله .

انتقل إلى المدينة مديراً للجامعة ، و كانت من أحسن سنواتها ازدهاراً و جمعاً للعلماء ، و كذا المنافع الكثيرة التي صارت للمسلمين و لله الحمد ، و فتح المراكز الإسلامية الواسعة في شتى البلاد ، كانت من جهود الشيخ في الجامعة .

و لما أراد الشيخ مغادرة الجامعة إلى الرياض أقاموا حفل وداع ، و الوداع كأنه عزاء ، فكان الجميع يبكون لفراق الشيخ .

غالباً ، إذا ذهب أو رجع من الجامعة الإسلامية و هو مدير لها ، لا يركب بمفرده مع السائق أبداً ، فتكون السيارة مليئة بالمرافقين ، بل و في الحج أيضاً .
و في إحدى المرات و هم ذاهبون لعرفة ، زاد معهم العدد في سيارته ، زاد العدد إلى سبعة أشخاص ، حتى أن الأبواب لا تغلق ، فتضايق بعض المرافقين للشيخ ، أن المكان لا يسع . فقال : لماذا لا يذهب هؤلاء الفقراء ، فيذهبون سيراً ، أو يذهبون على حسابنا ؟ فقال الشيخ : تحملوا ، إنما هي ساعات . إن شاء الله تجدون الأجر بعد ، فهذه طريقته –رحمه الله– .

متفرقات في حياة الشيخ

الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمة الله عليه– في رمضان

لم يأخذ الشيخ إجازة أكثر من خمسين سنة ؛ لأنه في وقت راحته في غير الدوام جميع أنواع العمل موجود في بيته ، و في سريره ، و في فراش الموت كذلك ، كل هذه يسير بها في كل وقت ، في السيارة ، و هو يغسل يديه بعد الأكل ، أو قبل الأكل ، تعرض عليه المعاملات ، و أيضاً إن لم يكن عنده معاملات تُقرأ عليه بعض الأبيات من المنظومات و يحفظها ، أو بعض الأحاديث .
و في رمضان يزداد نشاطه ، و يأتي قبل بدء الدوام ، و لا يخرج إلا إذا انتهى العمل . يفطر معه في منزله بالرياض ما بين الخمسين إلى المائة كل يوم ، أما إذا كان في بيته في مكة فما بين المائتين إلي الثلاثمائة ، و ربما يذهب بعد التراويح في يوم حافل بالعمل و العبادات ، و الشفاعة و القيام ، بعد التراويح يذهب ساعتين أو ثلاث ساعات لمكتبه في الإفتاء ؛ لإنهاء بعض المعاملات .
و الله ﷻ بارك في هذا العالم –رحمه الله– ، و أنسأ في عمره ؛ لكثرة صلاحه و بره بالمسلمين ، و اتاه من القوة والنشاط ، بحيث لا يظهر عليه التعب كما يتعب كثير من الشباب ، و المواقف في هذا

الشأن كثيرة ، فمنها أن الشيخ عبد المجيد الزنداني –وفقه الله وحفظه- يقول : رافقت الشيخ لرحلة دعوية من جدة إلى مكة ، و العكس . فيقول : ما نرجع بعد المؤتمر إلا و نحن نتساقط على وجوهنا من التعب ، و هذا كلام بعض مرافقيه ، و الشيخ رجل طبيعي جداً ، ربما ينام ساعة أو ساعتين فتكفيه . فالبركة من الله ﷻ ، و الإعانة من الله ، و كثرة ذكره و صلاحه و قيامه الليل و أشياء كثيرة .

يذهب الشيخ في النصف الأخير من رمضان إلى مكة ، و يكون في بيته الموجود في العزيزية بجنب جامعه ، و يذهب يصلي في الحرم . فشاهده الناس يصلي ، فاجتمعوا عليه بعد التراويح ، حتى ضاق نفسه . و كان المرافقين معه ستة ، يبعدون الناس عنه ، فتعبوا . و الشيخ مبتسم ، يقول : الله يهديهم ، الله يهديهم . و اجتمعوا ،حتى ضاق نفسه ، فخشوا على الشيخ ، و رفعوه على كرسي ؛ حتى يشم الهواء .

و خافوا عليه أنه يسير مع هذه الوفود بالسلالم الكهربائية ، فركب بالمصعد و نزل ، لما نزل من المصعد الخاص بالعمال ، و اقترب من سيارته ، اجتمع عليه الناس ، و لم يستطع أن يركب من كثرة الناس ، و اسودت ثيابه ، و تصبب عرقه من كثرة الذين سلموا عليه . مع ذلك لم تتغير أخلاقه ، فوسعهم حلمه . و ما يجد إلا أن يبتسم ، و يقول: الله يهديهم ، و لا يمنع أحداً أن يسلم عليه .

متفرقات من حياة الشيخ، من قوة حفظ الشيخ

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– من أكابر العلماء في الحفظ و الفهم ، صاحب (أضواء البيان) ، يُضْرَب به المثل في الحفظ ، بل يقول بعض العلماء : إذا قال لك محمد الأمين الشنقيطي عن مسألة في اللغة العربية : لا أعرفها ، فلا تبحث عنها . و يتصور اللغة كاملة.
فكان مرةً محمد الأمين الشنقيطي إبان إدارة الشيخ ابن باز للجامعة الإسلامية يبحث عن حديث في سنن أبي داوود ، لم يعلم أنه في سنن أبي داوود . فلما سأل الشيخ قال له : في سنن أبي داوود ، في باب كذا ، بل و دلّه على الكتاب و الصفحة . و هذا أكثر من مرة ، يدلُّ على الكتاب و الصفحة .

أيضاً مرافقه و كاتبه الشيخ محمد الشويعر –حفظه الله– يقول : بحثت مرةً عن حديث ، فلم أجد هذا الحديث . و أخبرت الشيخ بعجزي التام ، فقال : افتح كتاب الإيمان ، و هي رسالة مختصرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و افتح صفحة كذا ، و تجد في الحاشية تخريج الحديث رواه النسائي . يقول الشيخ الشويعر : لما راجعت الكتاب وجدته كما قال الشيخ ، وبالصفحة ، ثم رجعت للنسائي فوجدت الحديث في أماكن متفرقة لم أستطع أن أجدها ن قبل . فيقول الشيخ : قرأت هذا الكتاب قبل أربعين سنة ، لما كنت في الخرج .

وفاءه لشيخه الشيخ محمد بن إبراهيم

الشيخ يذكر شيوخه كثيراً ، و يثني عليهم ، بالذات الشيخ محمد بن إبراهيم ، و لا يتمالك نفسه إذا ذكر شيخه ، إلا أن يبكِي . فمرةً قرأ عليه أحد الطلاب حديثاً ، فأخطأ الطالب في الحديث ، فقال :

أعد . و من عادته أن يعيد الطالب القراءة ، حتى يتنبه لخطأه ، فإن لم ينتبه ، صحح له . فأعاد الطالب ، و صحح له الشيخ ، و قال : هذا التصحيح عرفته من شيخي محمد بن إبراهيم ، ثم تذكره و بكى –رحمه الله– .

من أخلاق النبوة التي كانت موجودة في الشيخ

كان الشيخ –رحمه الله– في الخرج ، و كان في تلك البلدة رجل يعاديه ، و يسبه و يشتمه . ثم إن الشيخ للحج ذهب ، و رجع . ففي أثناء ذهابه للحج مات هذا الرجل ، فلما رجع ، جاء الشيخ خبر موت الرجل ، فقال أحد المرافقين للشيخ أنه مات ، كأنه فرح ، فغضب الشيخ ، و قال : لماذا ما أخبرتموني ؟ وذهب ، و صلى على قبره ، ثم ذهب لأولاده ، فعزاهم ، و دعا للميت ، و قال : تراني في مقام والدكم ، إذا بغيتم شيء فأنا مستعد .

قال له رجل : يا شيخ ، حللني كلما اغتبتك. قال : عرضي مباح للمسلمين .
و قال له شخص في إحدى المحاضرات : إن أحد العلماء ، الشيخ فلان في دولة كذا ، يقول : إنك مبتدع يا شيخ ؟ فقال الشيخ : الله يوفقه ، و فقه الله . و بدأ يدعو له . و قال : إنه عالم مجتهد ، اسأل الله أن يوفقه ، و أن يعفو عنه . فلم يزد على ذلك .
ولم يُذْكَر في الكتب من هذا الرجل الذي يدعي أن الشيخ ابن باز مبتدع، لكن الشيخ دعا له في المحاضرة.

و في شريط مسجل له في محاضرة ، قال له أحد السائلين : إنك يا شيخ ما تذكر آل بيت الرسول ، قليلاً ما تذكرهم في المحاضرات ، كأنه جفاء منك لهم ؟
فكان الجواب : البكاء ، و لم يستطع أن يتمالك نفسه –رحمه الله– ، فأثنى عليهم ، و ذكرهم بخير .

اتصل به شاب عربي من أمريكا يطلب مساعدة للزواج ، فانتبه الشيخ أنه محتاج ، و أنه هو المتصل . فقال الشيخ : أغلق ، و أنا أتصل عليك . فأغلق ، ثم اتصل عليه الشيخ من مكتبه ، ثم أرسل له بعض المال .

بنى الشيخ مئات المساجد من حسابه ، و في يوم وفاته كان هناك ثلاثة ملفات لمساجد على مكتبه ، صدّرت المعاملة يوم وفاته .

لما كان رئيساً للجامعة الإسلامية ، جاء خبر للملك فيصل –رحمه الله– يفيد أن الشيخ ابن باز وضعه المادي صعب ، و الضيوف عليه من كل جهة من العالم يقدمون للشيخ . فالملك فيصل –رحمه الله– أمر ببناء بيتٍ ، يعتبر قصراً في ذلك الوقت ، أمر بمبنى كبير ، و أراد الملك فيصل أن يُسجل باسم الشيخ ، فامتنع قائلاً : بل يكتب باسم رئيس الجامعة ، حتى إذا تركت الجامعة يسكن فيه من بعدي ، فلم يرضَ أن يُكْتَب باسمه .

الشيخ محمد الزبن رئيس ديوان المظالم –رحمه الله– بالدمام يقول : مرة اختلفت أنا و أحد القضاة من قضاة الدمام في مسألة ، فيقول : زرنا الشيخ مرة ، و تباحثنا في هذه المسألة . فقال : افتحوا الكتاب الفلاني ، صفحة كذا ، تجدون الجواب . فيقول : ففتحنا ، فوجدنا الجواب كما قال .

في مجلة الدعوة كتب أحد الشباب يقول : كنت رأيت رؤيا ، كأني كنت في حفرة سقطت فيها ، و هي مظلمة ، و مر بجانبي الشيخ ابن باز فأخذني ، هذا في حياة الشيخ ، فلما أفاق هذا الشاب هداه الله ، فارتبط بالشيخ ارتباطاً علمياً .

لما مُنح الشيخ جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام المسلمين عام ١٤٠٢ هـ ، صَفَّق بعض الحضور للشيخ ، فنهاهم و قال : لا ، التصفيق لا ينبغي . الأصل : تكبرون . فلم يجامل في هذا الموضع ، مع إن الحضور مسؤولين ، و عدد منهم من الأمراء ، و الوزراء ، و وجهاء الدول .
و حين انتهى الشيخ قال : إني لا أستحق هذه الجائزة ، و لم أخدم الإسلام و المسلمين . و أنا متبرعٌ بها كاملةً لدار الحديث الخيرية بمكة . تبرع بها في المجلس ، و لم يأخذ منها شيء .

مرةً دخل الشيخ إلى مجلسه و لم يسمع في صالة الغداء صوت كالعادة ، و هو معتاد على حضور الناس قبله ، يسبقونه لمجلسه . فسأل الطباخين : أين الناس ، لم يأت أحد ؟
فقالوا له : إن حرس البيت منعوا الناس من الدخول . فغضب الشيخ ، و ذهب ينكر عليهم ، ثم أمر بإدخال الفقراء قبل الناس .

مرةً وصل إلى بيته في مكة ؛ لأن الشيخ ربما يذهب في الصيف إلى الطائف ، و بعد اجتماعات هيئة كبار العلماء يعود إلى بيته في مكة ، ففتح بابه للناس فلم يجد إلا حضوراً قليلاً ، فتألم . و سأل العاملين معه في المكتب ، فقالوا : يا شيخ ، إنك أتيت قريباً ، و لم يعلم بك الناس . فقال : أخبروا جميع الجيران أن بابي مفتوح ، و كل من قابلتموه في الطريق أخبروهم أن بيتي مفتوح ، والله يحيي الجميع .

لما مرض الشيخ نصحه الأطباء بأكلٍ خاص له في عناية طبية أن لا يزيد في الملح ، أو السكر . فقال الشيخ : ما يضرنا ، إن شاء الله . و الذي يأكلونه الفقراء معي أكلناه معهم . فاستمر على طريقته في الأكل .

و مرة في الحج على مائدته ، و الشيخ لا يأكل اللحم في الحج ، إنما يأكل الفواكه و الخضروات فقط ، و الخبز و يتخفف من الأكل ، فوضعوا له سلطة فواكه ، و أحضروها على مائدته ، و السفرة ممدودة. فسأل : هل أعطيتم جميع الحجاج ، الثمانمائة ، مثل ما وضعتم لي ؟ قالوا : لا . قال الشيخ : ما أريده.

إذا وجد الشيخ لبناً من بعض المزارع ، لبن يعني خالص سائغ للشاربين ، يقول الشيخ : إذا كان يكفي جميع الحضور من ضيوفي ، و إلا لا تقدمونه ، اتركوه للبيت .

قال له مرة بعض المحبين من جلسائه يوماً : يا شيخ ، أنت الآن يأتي إليك الوفود ، و الوجهاء ، و الرسميين ، لماذا لا تضع للمسؤولين مائدة لوحدهم ، و الفقراء معك في نفس الوقت لهم مجلس اخر ، و أنت مع الوجهاء و المسؤولين ؟

فلما انتهى هذا المقترح ، قال الشيخ : مسكين صاحب هذا الاقتراح ، ما تلذذ بالأكل مع الفقراء ، ما يعرف لذة الأكل مع المساكين و الفقراء . أنا هذه طريقتي ، و اسأل الله –عز وجل– أن يميتني عليها ، من كان يعجبه هذا الأكل ، و إلا ما أجبرت أحد يدخل عليَّ على مائدتي .

طلب منه أحد الحضور مرة سؤالاً . فقال الشيخ : اسألني ، و أنا أغسل . فسأله عن كلمة هل تجوز أو لا تجوز ؟ قال الشيخ : لا بأس بها . ثم قال أحد الكتاب لهذا الرجل : لو أنك ما سألت الشيخ لجعلنا نقرأ معاملة من المعاملات ، فلابد أن ينجز أي شيء.

جميل خياط ، من أقارب الشيخ عبد الله خياط و مدير شركة بترومين في جدة ، كتب قصته مع الشيخ بعد وفاة الشيخ مباشرةً . فيقول: أعطاني رجل أعمال أوروبي له شراكة مع بترومين في جدة مبلغ مليون و مائتي ألف ريال . و قال : أعطوه لابن باز . و هذا الرجل ، رجل أعمال يسكن في جدة ، و له شراكة مع شركة بترومين في بعض الأعمال . فقال جميل خياط له : تعرف ابن باز ؟ قال : أسمع عنه كثيراً ، و عن أعماله الخيرية ، وهذا المبلغ له ؛ لأجل مشروع الزواج التابع لابن باز . يقول جميل خياط : ذهبت للشيخ ، و سلمت عليه ، و قلت : إني من أقارب الشيخ عبد الله خياط . فرحب بي و سألني عن الشيخ ؛ لأنه كان مريضاً إذ ذاك . ثم قال : إن هذا الرجل أعطاني مالاً كذا و كذا . قال الشيخ : الحمد لله ، لا بأس به ، لكن هل أسلم هذا الرجل ؟

قال : لا ، ما أسلم . قال الشيخ : نقبل ماله ، واسأل الله أن يهديه .

فهذا من حسن خلقه ، و من شهرة هذا العالم ، حتى من غير المسلمين .

الشيخ الدكتور ناصر الزهراني –وفقه الله– إمام جامع ابن باز في مكة يقول : لما انتهى العمال من بناء المسجد القريب من بيت الشيخ . يقول : شفعت للعمال بك يا شيخ ، لو نعطي العمال المساكين هدية رمزية مالية قليلة غير رواتبهم ؟ فقال الشيخ : كم هم ؟ قال : سبعين شخص .قال الشيخ : كم يكفيهم ؟ قال : مائة ، مائة ريال لكل واحد زيادة على الرواتب تقديراً لجهودهم . قال الشيخ : بل أعطوهم ثلاثمائة . قال الدكتور ناصر : يا شيخ ، يكفي مائتين . قال : لا ، ثلاثمائة ، أحسن .

في مجمع الفقه الإسلامي ، و كان يضم عدداً من العلماء . ففي بعض جلسات المجمع يكون فيها اختصار ؛ لقلة الندوة من العلماء في المجمع ، فيجلسون في مجلسٍ خاص بهم ، ما بين رؤساء وفود الدول ، و رؤساء العلماء ، و وفود العلماء . فعرضت مسألة في العقيدة و الأسماء و الصفات و الكلام حولها ، فبدأ الشيخ يقرر مذهب السلف . فتكلم أحد العلماء من بلاد أفريقيا : إنكم وهابية متشددون . فما كان من الشيخ إلا أن قال له : سبح ، الله يهدينا سبح . فلم يسكت هذا الرجل . فأمر الشيخ أحد المرافقين له ، قال : ابحثوا عن كتاب في العقيدة لأحد علماء المالكية ممن يتبعهم هذا الرجل. فأتوه بثلاثين نسخة ، و وزعت على الحضور في الجلسة ، و الجلسة ساعة طويلة ، فوزع الشيخ الكتاب على العلماء ، و قال : إن كان في كلامي خلافاً لأئمة السلف ، أو الإمام مالك ، فأشهدكم أني أتراجع عنه . و حصل الرد ضمناً ، بمعنى أن ذلك الرجل المنكر قد قبل الحق ضمن كلام الشيخ .

الشيخ ناصر الزهراني أيضاً يقول : جاء أحد الشباب ، أعرفه تماماً ، إلى الشيخ ابن باز ، فقال : يا شيخ ، أريد منك هدية لا أنساها أبداً في حياتي . كلما رأيتها أتذكرك . فسكت الشيخ . و لما صلى المغرب ، و هذا الرجل ذكّر أحد مرافقي الشيخ حتى ما ينساه . فناداه الشيخ ، فتذكر الموعد ، و ما قال له ، فخلع مشلحه وأعطاه إياه . وقال الشيخ : هذه الهدية ما تنساني إن شاء الله .

كاتبة صحفية ، هي الان دكتورة ، و لها كتابات شهيرة ، تقول : في بداية عملي الصحفي كنت سأكتب موضوعاً حول مشروعية تأخير صلاة العشاء ، و أنها تخفف على الناس في الاجتماعات و المؤتمرات ، و الحفلات الرسمية وغيرها فيها أمراء ، فأردت أن أقترح هذا الاقتراح في مقال ، و آتي بالأدلة أن صلاة العشاء لا بأس أن تؤخر إذا كان في حفل . فتقول : اتصلت على الشيخ ، و قال لي : صحيح ما قلتِ ، و هذه سنة ، لكن لو تكلمتِ يا بنتي بشيء ينفع المسلمين و هو أحسن ، أو

تتكلمين عن أمور تتعلق بالنساء ، وهي أفضل لكِ . فتقول : تركت هذا المقال ، و لم أكتب عنه . فاقتنعت بكلام الشيخ . و تردف فتقول : قبل اتصالي على الشيخ ، اتصلت على أحد العلماء اسأله و أستشيره عن هذا الاقتراح ، فقال : أنتم الحريم ما ينفعكم إلا الكنس و الطبخ ، لا تكتبي لا مقالات ، و لا شيء يتعلق بالعلم .

تقول : الفرق بين هذا العالم و بين الرجل الأول أيضاً من العلماء ، لكنها لم تسمِّه في هذا المقال .

من حب الشيخ للسنة اهتمامه بقضية الوتر ، إذا شرب ماءاً ، أو أراد أن يأخذ كأساً آخر ، يشرب ثالثاً ، أو عصير ، أو تمر ، غالباً التمر يقف على وتر.

مرةً سلم عليه أحد الأشخاص و عانقه ، فقال الشيخ : السنة المصافحة فقط ، لا تعانق . و الذي يظهر أنه من الملازمين للشيخ دائماً ، فيعانق الشيخ . فقال له : يا شيخ لأني أحبك . قال الشيخ : السنة أحب إليَّ منك ، ما يحتاج المعانقة .

مرةً ارتدى الشيخ مشلحاً طويلاً زائداً على الكعبين ، و لم يعلم به . فقال له أحد الحضور : يا شيخ ، هل لك رأيٌ تغير حول قضية الإسبال ، أو اقترحت لك بعض الأقوال أو الفتاوى و الأدلة . فسأل الشيخ ، فقال : المشلح طويل . فعندما علم أن المشلح طويل ، ألقى به . و قال : قصروه ، فلم يبقَ عليه .

في أول رجوعه من المدينة عام ١٣٩١ هـ ، كان إمامَ الجامع الكبير حتى هُدِم الجامع الكبير عام ١٤٠٨ هـ ، لثمانية عشر عاماً ، و الشيخ هو الإمام و الخطيب ، و يلقي الدروس في الجامع الكبير . فلما هُدِم ، و بني مرة أخرى ، هذا البناء الأخير ، اقترح عليهم الشيخ ابن باز التنازل لسماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ –وفقه الله– .

يومياً كان الشيخ في كل فجر يتصل على أحد عشر رقماً من الموظفين عنده على بيوتهم ؛ لإيقاظهم لصلاة الفجر . على البيوت ، و على بعض أقاربه .

من بركة وقته –رحمه الله– في مجلسٍ من بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء فقط ، كان الشيخ إذا أذن العشاء كائناً من كان عنده ، يترك كل شيء و يذهب للمسجد . هذه طريقته ، أيّاً كان العمل ، أو الظروف ، أو مسائل طلاق ، أو ضيف ، أو ملك .هذه طريقته .
و إن أصر بعض الناس في إنهاء معاملات ، يقول : أنا ذاهب إلى المسجد ، اسأل ، أو بعد الصلاة و نحن راجعون ، ثم يعشي الناس .
و من بركة وقته من بعد المغرب إلى أذان العشاء أجاب عن ستين سؤالاً من أسئلة الحضور .

مرةً قُرِأَت عليه عشر معاملات طلاق بين المغرب والعشاء . الوقت هو الوقت ، و لم يتغير، إنما فرق البركة . و مسائل الطلاق تحتاج إلى تركيز ، مع وجود بعض المعاملات الأخرى ، و فتاوى ، و مهاتفين . فيأخذ الهاتف الأول و يجيب ، فإن أطال قليلاً يستأذنه و يجيب على الثاني.

مرةً بعد الفجر إلى طلوع الشمس في المسجد ، أو في البيت إلى طلوع الشمس ، قُرِئت عليه أربعين معاملة ، ما بين طلاق ، و فتاوى مهمة ، و أحداث مهمة .

مرةً سافر من الطائف إلى الرياض ، و قرئ عليه ستين صفحة من كتاب أعلام الموقعين ، و الذي يعرف كتاب أعلام الموقعين من طلاب العلم يعرف أن الكتاب دسم ، و صعب ، لا بد من تركيز ، و إعادة أكثر من نقطة . و لما نزل من المطار من سيارته إلى منزله قرئ عليه تقرير عن مشروع دعوي خارج المملكة يتكون من سبعة عشرة صفحة .

من القصص المكذوبة على الشيخ ، و نقلت في أكثر من مجلس ، و نقل عن الشيخ : أنها كذب ، هي مسألة حول الرضاع مكذوبة ، و لم تصح عن الشيخ . ذلك أن رجلاً جاء إلى الشيخ في مجلسه ، و قال : إن زوجته وضعت له حليباً من ثديها في الصباح فشربه ، حليب من حليب زوجته ، حتى تطلق ، بمعنى أنه صار ابنها . فالشيخ قال له : ما تطلق . قال السائل : لكني ذهبت إلى الشيخ ابن إبراهيم ، و قال : إنها تطلق .

قال الشيخ : إذا اجتمعنا مع المشايخ في مجلس ابن إبراهيم اعرض المسألة . فلما عرض المسألة أجاب الشيخ ابن إبراهيم نفس الجواب . فقال الشيخ ابن باز : إذن تكن العصمة بيدها ، يعني أي امرأة تريد تطلق زوجها تضع له حليب في الصباح .

فهذه القصة مكذوبة قيلت عن الشيخ ، و لا تصح . و ربما البعض لم يعلم بها ، أو لم يسمع بها ، و لكنها موجودة و مشتهرة .

قال الشيخ يوسف القرضاوي –حفظه الله– : لم أرَ مثل الشيخ ابن باز أبداً في وده ، و صفائه ، و أخلاقه ، و لا في بره ، و إكرامه لأهل العلم ، و طلاب العلم من أبناء وطنه ، و أبناء المسلمين عموما . فقد كان من أحاسن الناس أخلاقاً .

و يقول : لقد رأيته في مجمع الفقه الإسلامي يستمع ، و ينصت لجميع الآراء بكل اهتمام ، ثم يأتي برأيه بعد جميع الآراء .